

## أفكار متقاطعة

### يموت الإنسان إذ تموت نزعتة الإنسانية

■ جورج كعدي

مذ تهاقت الإيديولوجيات والطوباويات حلّ الشك في القيم وتزعزعت أسس العالم وتمك الخوف كينونة الإنسان، حتى مضى الفكر الفلسفي أبعد من «موت الإيديولوجيا» و«موت اليوتوبيا» و«نهاية التاريخ»... إلى مقولة «موت الإنسان» التي شغلت الفكر الفلسفي المعاصر وأعلامه الكبار من أمثال هايدغر ولاكان والتوسير وفوكو وفيري وهابرماس وريكور وليفي ستروس ودريدا وآخرين، فناقم السؤال عن «المعنى» و«غياب المعنى» وأعيد توليد الأسئلة القديمة. الجديدة حول جوهر الوجود وغايته والله و«موت الله» والألم والشقاء والموت والتاريخ والثقافة والمعرفة. الخ. وما أنا أعيد بنشوة فكرية عارمة قراءة مؤلف قيم جدا للدكتور عبد الرزاق الدوّاي، أستاذ الفلسفة المعاصرة في جامعة الرباط، تحت عنوان «موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر» (دار الطليعة) في بيروت)، و«رغبة في تقاسم هذه النشوة الفكرية مع القارئ، وعارضا في اختصار، على حلقات مختلفة العناوين، لمضامين بحثه، لما فيه من غنى فكري ومرجعى، ولما يحوي من أفكار تلقى صدى في زمننا الراهن الموسوم بالازمات الإنسانية والقيمية والأخلاقية والوجودية على اختلاف مظهرها وأبعادها. يرى الباحث الدوّاي أن الفكر الفلسفي المعاصر أجمع برموزه التي أسلفنا ذكر بعضها على أن الفلسفة كانت تكذب على نفسها وتحمي على وهم، وكذات خالقة للمعنى ومبعدة للدلالات. وأنّ إنسان الفلسفة على وشك الانقراض، إذ لم يبق له من ملاذ سوى بقايا متباوية من الفكر الميتافيزيقي، أو بعض الإيديولوجيات التي قبل إنها دخلت مرحلة الاحتضار أوبت الحقل الفكري يقتضي التخلي عن نوعين من الأوهام هما النزعة الإنسانية والفكر التاريخي، فضلا عن التحرز من أوهام الميتافيزيقي. وتقوم مرجعيات البحث على الدعوة إلى تفكيك الميتافيزيقي وتجاوزها، ثم النقد الهاديغري للنزعة الإنسانية وفلسفة الذات النقد الأنتروبولوجي المتمسك في أبحاث كلود ليفي ستروس ويصف نفسه بأنه نقد علمي، فالنقد الأركيولوجي ثم الجينيولوجي في مشروع ميشال فوكو وهو مزيج من النقد البنيوي وفلسفة التفكيك والاختلاف. يلت الدوّاي في إيضاح منهجية بحثه إلى أن في استطاعة المهتمين بالفكر الماركسي الفرنسي المعاصر، خاصة في ستينات القرن الفائت، ملاحظة الظاهرة الفكرية المثيرة لكون الموضوع الذي احتل مكان الصدارة في السجلات الفلسفية، سواء بين الماركسيين أنفسهم، أو بينهم وبين تيارات أخرى، هو حول العلاقة بين الماركسية والنزعة الإنسانية والمفاهيم المرتبطة بها كالتاريخ والاستلاب والوعي الزائف والإيديولوجيا.

كما يلاحظ أنّ تيار فلسفة «موت الإنسان» في فرنسا لم يعد يتبنّى موقف المعارضة الفكرية للنزعة الإنسانية، ولمختلف أشكال النقد والتفكيك المحلّة على الذات والإنسان، إلا بعدما نامت داخله ظاهرة الولع الكبير بعث تقليد فلسفي ألماني خاص وتجديده، وهو ينحدر من نيتشه وينتهي لدى هايدغر، حتى لو كانت حصيلة ذلك معظم الأحيان خليطا غريبا من مفاهيم وطرائق بنوية وأفكار مستعارة من ماركس تارة ومن فرويد تارة أخرى. ويرى الباحث المغربي، ثالثا، أنّ من الضروري ربط المناقشة حول أزمة النزعة الإنسانية بمنطلق الوجودية ومسألة التقدم.

نموذج آخر وأخير يختاره الدوّاي لبحثه المبعّد العميق الغني بالمراجع والإشارات، هو المشروع الفكري لدى ميشال فوكو الذي نشأ في مناخ فكري هيمنت عليه «الثقافة الجديدة» في فرنسا، واشتهرت تلك الثقافة خاصة باتخاذها النقد الجذري للنزعة الإنسانية موضوعها المفضل، باسم الهيمنة المطلقة للغة وللشعور تارة، وباسم تجاوز الميتافيزيقي تارة أخرى. وأكثر ما جذب نظر فوكو إلى تلك الثقافة إقصاؤها مفهوم الذات وانتقادها التاريخ والفكر الجدليّ الوافد من القرن التاسع عشر. فواصل في أبحاثه بتفان كبير ذاك القويض الجذريّ لأسس النزعة الإنسانية. واتخذ لمشروعه النقديّ ميدانا جديدا خاصا هو ميدان نشأة المعارف والعلوم، عازلا إياها عن الحياة والبشر والتاريخ، وميلورا فيه أطروحة الفريدة التي تزعم أنّ المعرفة كمجال تاريخي تظهر فيه العلوم، هي متحررة من كل ذات مؤسّسة، وأنّ هناك في كلّ فترة تاريخية معينة ثوابت قديمة تاريخية تتحكم في إنتاج أفكار المتنوّعة وتنظيمها... (يتبع).

## «مئوية الإباداة الأرمينية»

### كتاباً توثيقياً لمجازر العثمانيين



كان يسكنها عدد كبير من الأرمن. ويستند على ما وصفه الكاتب عريش بأسوأ حالة في تاريخ القرن العشرين أو الأبعث في تاريخ البشرية برمته، وهي جريمة الإباداة الأرمينية التي بدأت بعد اكتشاف التحالف الشوفيني بين الطوائف والصهيونية يهدفن عثمان بدأت قبل يتمثلان في محوسات الأرمن والعرب الذي تعرض له الأرمن. كما يسلط الضوء على ما أقدم عليه أطباء أتراك من جرائم ضد الأطفال، وأعمال الخطف والاعتصاب المنهجية التي طالت النساء والفتيات الأرمنيات، فضلا عن تبيان واضح للحلقات والماغلطات التاريخية في حق الأرمن والأتراك الحضارية والتاريخية التي تدل على وجودهم الثقافي والحضاري للمنطقة.

## كيف تعود إلى سابق عهدها الجميل؟

### الكوميديا السورية تنتظر كتابها المبدعين

بِسَام موسى



بنينا نترخّ اليوم على الكوميديا السورية أيام زمان، أيام الأسود والأبيض. كان في ذلك الزمان الجميل، الذي لا يتكرر، كبار نجوم الكوميديا، بدءا بالفنانين نهاد ودرديد، مروراً بجيل طويل وأسماء كثيرة، والقائمة طويلة.

كانت الكوميديا السورية تمتع وتبدع حقاً، وتركت بصمات لا تنسى لسنوات مقلية. وقدم إلينا جيل كبير عشرات الأعمال التي أضحت المشاهد السوري والعربي. كان نجوم ذلك الزمن يعملون حيا الفن الأصلي، ورغم قلة الإمكانيات والفقر أعطيت لها مساهمات بالتأكيد في زعزعة المفهوم التقليديّ السائد عن الإنسان، لوحظ في الفكر المعاصر ازدياد الاهتمام به ومحاولات استثماره في مشروع تأسيس خطاب فلسفيّ جديد قيل إنه سيسلك ثورة مضادة وقطعية كبرى مع التراث الفلسفيّ التقليديّ. وأكدت نظرية التحليل النفسيّ بالفعل على أنّ ثمة حتمية تسود حياة الإنسان النفسية، وأن مفهوم الإنسان الواعي والعقل والمسؤول أخلاقياً ما هو إلا من أوهام الفلسفة. ألم يعلن فرويد في دراسته «إحدى صعوبات التحليل النفسي» (1917) أنّ نظريته «الحدقت بالكبرياء البشرية ثالث إذلال كبير لها بعد كوبرنيك وداروين»؟ لكنّ الثابت في أيّ حال أنّ تيار فلسفة «موت الإنسان» قلما يجيل على نصوص فرويد ويفضل القراءة الجديدة حولها المنجزة على ضوء المنهج اللسانيّ البنيويّ الذي اعتمده الطبيب والفكر الفرنسيّ جاك لاكان (Lacan) وعرف باسم (Lacanisme).

في نظرية التحليل النفسيّ ضمن منهجية البحث بعض أبحاث كلود ليفي ستروس ودراساته في ميدان الأنتروبولوجيا التي وضع أسسها أو النموذج الرئيسي من نماذج النقد البنيويّ للنزعة الإنسانية. مع الانتباه دوماً إلى تأكيد ليفي ستروس على أنّ أبحاثه ذات طابع علميّ بحث ولا صلة لها بالثبته بالفلسفة، إذ مضى إلى حدّ إعلان نفوره من الفكر الفلسفيّ سائراً من لا يزال مؤمناً بجذواه. علماً أنّ ثمة دراسات متأنية وعميقة كشفت أنّ في أبحاثه تتداخل القضايا العلمية فعلياً مع الأفكار والتأمّلات الفلسفية، ما أنتج بالتأكيد أطروحات فلسفية تقترح تصوّراً معيّنًا عن العالم، وعن الإنسان ومكانته، وعن العقل البشريّ والثقافة والتاريخ ومسألة التقدم.

نموذج الحقيق الغني بالمراجع والإشارات، هو المشروع الفكريّ لدى ميشال فوكو الذي نشأ في مناخ فكريّ هيمنت عليه «الثقافة الجديدة» في فرنسا، واشتهرت تلك الثقافة خاصة باتخاذها النقد الجذريّ للنزعة الإنسانية موضوعها المفضل، باسم الهيمنة المطلقة للغة وللشعور تارة، وباسم تجاوز الميتافيزيقي تارة أخرى. وأكثر ما جذب نظر فوكو إلى تلك الثقافة إقصاؤها مفهوم الذات وانتقادها التاريخ والفكر الجدليّ الوافد من القرن التاسع عشر. فواصل في أبحاثه بتفان كبير ذاك القويض الجذريّ لأسس النزعة الإنسانية. واتخذ لمشروعه النقديّ ميدانا جديدا خاصا هو ميدان نشأة المعارف والعلوم، عازلا إياها عن الحياة والبشر والتاريخ، وميلورا فيه أطروحة الفريدة التي تزعم أنّ المعرفة كمجال تاريخي تظهر فيه العلوم، هي متحررة من كل ذات مؤسّسة، وأنّ هناك في كلّ فترة تاريخية معينة ثوابت قديمة تاريخية تتحكم في إنتاج أفكار المتنوّعة وتنظيمها... (يتبع).

تجذب شركات الإنتاج. يخطئ من يعتقد أنّ الأعمال الكوميديا السورية الراهنة التي تعرض على الشاشنة هي «كوميديا». تعانتي الدراما السورية غياب النص، الكوميديا تحديدا، فالفنان ياسر العظمة، «أبو المراهب»، له فضل في شهرة الكوميديا قدم «مراهب» باهتة ومهزلة العام الفانت ولم تمتع أو تتفق، إذا لدينا مشكلة ولا تعرف أين هي، بيد أنّ الأعمال الجديدة. وعلى كتاب الأعمال الكوميديا وهم قلة التحرك والنشاط وتقديم أعمال ينتظرها الجمهور الذي تعود مشاهدة مسلسلات جميلة فيها المتعة والنقد البناء، بعيدا عن التكرار.

قدّر الكوميديا السورية أنّ تعاني، إذ لم يعد ينتظرها المشاهد ليضحك ويذليل لهم عن قلبه. نتمنى أن تكون الكوميديا السورية إلى عصرها الذهبي، اليوم جيل الغد، فهي قادرة على الإبداع وإنتاج أعمال حديثة تلبي طموح الناس.

## زيد خدّاش؛ لا وجود في زمننا للوركا آخر أو بوكوفسكي أو درويش

مرحلة شعرية سابقة متلما حدث في زمن زوال الاستعمار وتحزّر العالم العربي وترافقه مع الحداثة 1964. القصيدة لدى مخاض طويل في سبيل الولاية، وتشرف جديد يعيد تكوين الشاعر. نوصه بعيدة عن المبتذل والعام والمشارك للوصول إلى ما هو أصيل ومتفرد، صدر له ديوان عنوانه «أنّ تعني أرضاً ويكون اسمك أماني»، لدى دار «الطليعة للنشر والتوزيع» بعيدا عن أرضه، عن زهرة المدائن لخداش علاقة مختلفة مع فلسطين الأرض، النص، يصف زيد خدّاش هذه العلاقة قائلا: «كاتبان، لا تخيل نفسي مهاجرا منها، أو بعيدا عنها لأكثر من شهر. ككاتب لا أظنني اعتبرها نهاية المطاف أو نهاية الأمّة. ثمة انضمام واضح في علاقتي مع بلادي.

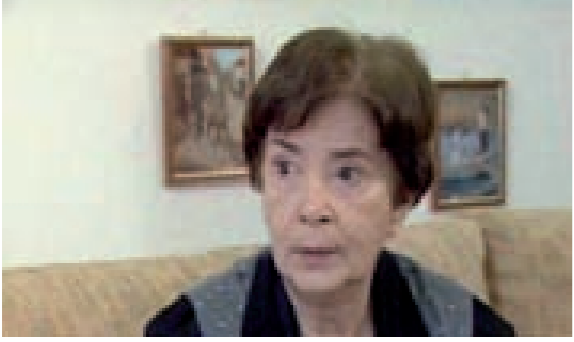
أرفض أنّ تطرني فلسطين في حين عادي، أو هاجس انتقامي ضيق أو حتى تصفيق شعبي. لن تجربني على استخدام كتاباتي لتختال بدنها وتتفخج بشرقيها وترقص بجروحها، بينما نصي ينزف ركاكة وابتذالا. هي ذاتها علاقتي مع الله، كم أحبه وكم أرفضه، كم أستدعيه وكم أنفبه. هي ذاتها علاقتي مع المرأة، كم احتاجها وكم أهرم منها، كم أحبها وكم أكرهها. في الله فلسطين والمرأة، تتجلى متلازمة اغترابي وانتمائي». معايير النص أصبحت واسعة، كذلك معايير الشعرية. كيف يصف خدّاش حالة النص الشعري رهنا وما هو معيار ما هو شعري وما هو مبتذل، خاصة مع اتساع وسائل النشر الرقمية وانفتاح الفضاء أمام الجميع؟ يجيب: «الأزمة الكبرى – واتحدت عن بيتي الثقافية في رام الله – من معظم هؤلاء الأبناء. الـ«فيسبوك» دمر المعايير وحطم السور الذي كان يحمي حقل المعيار. استبيح الحقل الآن، وهناك ألف معيار لتقويم النصوص. ربما يقول قائل هذا جيد إذ يجعل من الحقل حقولا باعثة ومتنوعة وديمقراطية. أي شخص لم يقرأ في حياته كتابا واحدا، يمكن أن يمتلك معيارا لمحكمة نصك وبكل وقاحة ورغبة في إقصائك، ويقول شخص آخر: ليقبل هؤلاء المبتذلون ما يشاؤون، في النهاية لا يصح إلا الصحيح».

فلسطين القضية الأرض أنتجت شعراء يحملون همها، هل يمكن أن يولد ما يعرف باسم شاعر القضية مرة أخرى؟ يقول: «لا نريد شاعر قضية مرة أخرى. محمود درويش ظلم كثيرا عندما حشروه في هذا السجن، وكان عظيما محمود عملاقا ونكيا حين فهم لعبة الدمار التي نصبت له بحسن نية وبسوتها وهرب من السجن وطار في فضاءات الكتابة. في كل مرة كان يلقي شعرا في أسبوع، كانت الحشود تصرخ وتحاول إجباره على إلقاء قصائد نظمية من زمن السجن مثل «أحن إلى خبز أمي» أو «سجّل أنا عربي»، كان محمود يرفض كاطفا غيظه بغضب خفي. كان يعرف هذا الشعر، وكان يقرأه مجبرا بسلاسل أشعارة السابقة إلى السجن، كان ذكيا جدا، حين كان يعتذر في معظم الأحيان».

«الربيع العربي» حالة انقلاب، بغض النظر عن النتائج. هل يمكن لهذه البنية الجديدة أن تؤسس لشعرية جديدة هل تتلقّى أسلوبا جديدا يمكن اعتباره تحولا في مسار الشعر؟ يجيب خدّاش: «لا أظن أنّ هذا التحول سيؤدي إلى حالة شعرية جديدة. قد يؤثر في بعض مستويات اللغة ونوعية المضامين، لكنه لن يحدث قطيعة مع

## الخبير الثقافي

### غياب ليلى حكيم



بعد مسيرة طويلة في عالم الدراما التلفزيونية في لبنان، توفت الممثلة القديرة ليلى حكيم عن 83 عاما، وعرفها الجيل القديم وتعرف إليها الجيل الجديد أيضا في مسلسلات أدت فيها دور الجدة على نحو شبه دائم، فكانت الجدة الأشهر في مسلسلات لبنان في السنوات العشرين الماضية. ولها أنوار سينمائية بارزة بينها «مخان بلا نار» للمخرج سمير حبشي، و«ملق لوين»، «لنادين لبيكي» وقصة ثنائي للاراسيا.

تقام مراسم الدفن اليوم السبت، عند الساعة الرابعة عصراً، في كنيسة قلب يسوع، يداروسامى الصلح، وتقبل التعازي قبل الدفن بدءا من الساعة العاشرة صباحا في صالون الكنيسة، وغدا الأحد وبعد العاشرة في صالون الكنيسة، من الساعة العاشرة صباحا حتى الساعة السادسة بعد الظهر.

## لقاء زحليّ حول ديوان

### «ذهب القصائد» لجميل فرحات

احتفت زحلة والبقاع بصور ديوان، «ذهب القصائد» للشاعر جميل فرحات، بدعوة من مجلس بلدية زحلة – معلقة وتعنايل والكلية الشرقية ومجلس قضاء زحلة الثقافي. وحضر الحفل الذي أقيم في قاعة محاضرات الكلية الشرقية جمهور كبير من مجتحي الشعر وأهل الفكر والثقافة.

افتتحت الحفل الإعلامية كريستين زعتر المعلوف مرحبة ومقدمة الشاعر وديوانه، تلاها رئيس الكلية الشرقية الأب سابي سعد مرحبا ومستقبلا بالقول: «يدخل جميل فرحات الشرقية، صرح الثقافة موقعا كتابيا شعريا للمرة الثانية، مؤكدا بذلك ان الشرقفة معيد يقدم فيه الشعراء بخورا امتاز في «ذهب القصائد» بالإبداعية والرمزية والتصوف».

تلا الدكتور جوزف خزاقة معلقاً كلمة مجلس قضاء زحلة دياب المعلوف، ومما قال: «لقد أحب شاعرنا زحلة ابنة صنين، وبإدخاله الحب من خلال كونه من الرفيد – راشيا، والتي يمكن اعتبارها ابنة حرمون لتكون قصيدته. ذهب القصائد همزة وصل بين الجيلين التاريخيين اللذين جمعهما سهل البقاع، سهل الخير والطاء».

تلا الدكتور جوزف خزاقة معلقاً كلمة مجلس قضاء زحلة الثقافي، ومما جاء فيها: «لا عجب أنّ يأتي شاعرنا جميل فرحات الذي عرف زحلة عن كذب، وأمضى فيها جزءاً مهماً من حياته ليخصها بدوره مكرماً إياها بالأجود والأحسن مما أبدع فكره وخياله (...). من يقرأ ديواني جميل فرحات «مراهب الوجد» و«خمر العباد» يتعرّف إلى البعد الصوفي في شعره. وهو يفتح قصيدته الغزلية بزحلة مشيراً إلى سحر هذه المدينة وجمالها، وشاعريتها، وجاذبيتها، مصوراً عشقه لها».

ثمّ ألقى الشاعر سليمان جمعة كلمة استقبلها قائلاً: «نحن أنن أمام نصين في عالم جميل فرحات، نص يفني ذاته العاشقة، ونص زحلة الأبدى، وهو النص الأساس الأعلى، فجميل الذي ابتدع وبتاح لن يقف أو يهدر دمه مثل جميل بئينة، أو يقتل مثل وبتاح اليمين، بل سيصل جميل إلى عالمه على براق شعره الصوفي».

إلى كلمة نبيل أبو غانم فيها: «بين جنون شعر وعشق، يعود الصديق الزمن إلى ينابيع العشق الإلهي لنهيل. يعود إلى ينابيع عشق زحلة لنهيل، وليذة العاشق بطرز «ذهب القصائد» لمدينة الحب فيها، تعباً وتقرب».

ومن باريس أرسل الشاعر الكبير جوزف الصايغ تحية خاصة جاء فيها: «يعزك يا شاعري أنّ تزيد قصيدتك هذه سعة الجمال في اللغة الشعرية، ويجل زحلة أنّ يشاد لها على يدك، ويوحى من قلمك مثل هذا الصرح. إن تراث زحلة العريق في الشعر، اغراق بهذا التحدي، وشغفك بزحلة جاء بمقدار قيرتلك على الابتكار، وما هي زحلة تخطّر في قصيدتك متوشحة بأوشحة عربية ما اختالت بها من قبل، في ديباجة بحثرية، وولده لونه بني «عذرة». ويوم قرأت عليّ قصيدتك في منزلنا بزحلة شممت فيها التفرد فوراً. فأشرت عليك أنّ تفرد لها كتابا بحاله، يناسب صياغتها صوغاً، ويفرحني اليوم أنّ أراها راقلة في برود الحبر، وجبر الورق، أنيقة، مذهبة كحروفها، ذات إغراء».

## الرئيس الكولومبي؛ ماركيز

### رفع اسم بلاده عالي

وصف الرئيس الكولومبي خوان مانويل سانتوس الأديب الراحل غابرييل غارسيا ماركيز بأنه كان رجلاً ملتزماً بمصير بلده والكولومبي الذي رفع اسم بلاده عالياً. وقال سانتوس خلال احتفال تكريمي للأديب الراحل مؤلف «مئة عام من العزلة»، أنّ كتابه «بريمادا» وبيع منها أكثر من 30 مليون نسخة، ومن رواياته الأخرى المشهورة «الحب في زمن الكوليرا» و«وقائع موت معلن» و«الجنرال في مئاته».

ويعتبر ماركيز الذي حاز نوبل للآداب عام 1982 من أكثر الكتاب شعبية باللغة الإسبانية منذ ميغيل دي سرفانتس في القرن السابع عشر واشتهر برواية «مئة عام من العزلة» التي نشرت عام 1967 وبيع منها أكثر من 30 مليون نسخة، ومن رواياته الأخرى المشهورة «الحب في زمن الكوليرا» و«وقائع موت معلن» و«الجنرال في مئاته».

